زيارة الأربعين
دراسة في تأسيسها التأريخي
وأثرها في ترسيخ الفكر العقدي

م.د. أحمد مهلهل مكلف الأسدي
جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية

Ibn.almuhalhel@gmail.com

ملخص البحث:

في هذه الدراسة سأقوم بتقميش جملة من النصوص التاريخية والدينية، ثم أُسلّط الضوء عليها لاستبيان جملة من المتعلقات بأهم حدث تاريخي عقدي قائم ومتكرّر في كل سنة ألَا وهو زيارة الأربعين، فأدرس أوّلًا البداية التاريخية لتأسيسها ودواعي ذلك التأسيس، ثم أوضّح الظروف التاريخية التي جعلت من هذه الزيارة تنال اهتمام بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأوضّح بعد ذلك الأثر العقدي الذي تركته هذه الزيارة -على وجه الخصوص- على التشيّع الإمامي.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الفكر العقدي، الإمام الحسين، الإمام الصادق. الإمام العسكري.

Arbaeen Pilgrimage: A Study of Its Historical Foundation and Its Impact on Consolidating Doctrinal Thought

Dr. AHMED MHALHAL MAKLEF
University of Karbala - College of Education for Human Sciences

Abstract

In this study, I will collect a number of historical and religious texts, then shed light on them to survey a number of matters related to the most important historical event that exists and is repeated every year, which is the Arbaeen pilgrimage. I will first study the historical beginning of its establishment and the reasons for that establishment, then I will explain the historical circumstances that made this pilgrimage gain the attention of some of the imams of Ahl al-Bayt, peace be upon them I then show the doctrinal impact that this visit had - in particular - on Imami Shiism

Keywords: Arbaeen Pilgrimage Nodal thought. Imam Hussein. Imam Al-Sadiq. Imam Askari

المقدّمة

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام عمومًا لها فلسفتها الخاصة، ونعرف ذلك من مجموع الزيارات التي يُزار عليه السلام بها، ومن كثرة الأحاديث التي وردت في باب زيارته عليه السلام التي أكّدت في بعضها على استحباب الزيارة للرجال والنساء، وتكريرها (ابن قولويه، ط١، ١٤١٧هـ، ص٢٣٦-٢٣٨)، واستنكرت أخرى قلّة إتيان قبره الشريف من قِبَل بعض الموالين المؤمنين، وعدَّ ذلك عقًّا واستخفافًا بأمر أهل البيت (الكليني، ط١، ٢٠٠٧م، ج٤، ص٣٣٦؛ ابن قولويه، ص٢٤٦؛ الطوسي، ط٤، ١٣٦٥هـ، ج٦، ص٤٥) ، مع تبيان عِظَم الأجر لزائره لا سيما إذا كان على خوفٍ من السلطة أو غيرها، ولَمن يُجهّز أحدًا بُغية زيارته (ابن قولويه ، ص٢٣٨-٢٤٨، ٢٦٢-٣٠٨) ، وغير ذلك من الخصوصيات، وهي في مجملها تدفع باتّجاه التمسُّك بصاحب أعظم نهضة في التاريخ الإنساني، الذي حفظ بيضة الإسلام بوقوفه مع نخبة مؤمنة ضد الطغيان الأُموي، فمن أجل ذلك صاروا مدرسة للإنسانية في جهاد الظالمين.

إن هذه الدراسة تهتم بالإجابة عن جملة من التساؤلات، وهي: هل أن زيارة الأربعين عادة اجتماعية عديمة الأصل من الناحية الدينية؟ أو أنها إحياء لسُنّة نبوية؟ ومتى بدأ الشيعة يزورون الإمام الحسين عليه السلام في أربعينه؟ ومَن هو واضع مفردات تلك الزيارة؟ وما أهميتها ودلالتها؟ وكيف ينبغي أن نفهم مُراد الإمام الحسن العسكري عليه السلام من زيارة الأربعين كإحدى علامات المؤمن؟ ثم لماذا عدَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام تلك الزيارة من تلك العلامات؟ وما المسبّب التاريخي الذي أثّر في ذلك؟

إن هذه التساؤلات نجد الجواب عنها في ثنايا هذه الدراسة التي ارتأيتُ تقسيمها على مبحثين، أدرس في المبحث الأول التأسيس التاريخي لزيارة الأربعين، وفي الآخر

أدرس أثر الزيارة في الترسيخ العقدي، تليهما خاتمة فيها أبرز نتائج الدراسة، منتهج في ذلك الطريقة الاستقرائية-الاستنتاجية، والطريقة التاريخية أيضاً، معتمد على جملة من المصادر المختلفة.

المبحث الأول
التأسيس التاريخي لزيارة الأربعين

إن البحث عن الجذور لكثير من القضايا سواء في الحقل التاريخي أو العقدي أو غيرهما مهمة يسعى الباحثون إلى إيجادها، وتعتمد أهمية النتيجة التي يتوصّلون إليها على قدر أهمية الموضوع الذي يبحثون فيه، وزيارة الأربعين لا شك أنها قضية عظمى والحدث الأكبر عالميًا الذي يتكرّر في كلّ سنة، فما هو جذر هذه القضية؟ وكيف تمّ إحياؤها؟ وهل هي تقليد أو عادة اجتماعية أو سُنّة نبوية تم إحياؤها؟

إن المشهور بين الباحثين وغيرهم أن أصل هذه الزيارة يعود إلى ما قام به الصحابي الجليل جابر الأنصاري مع عطية العوفي من زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر، أي بعد مُضي أربعين يومًا من تاريخ استشهاده عليه السلام فكان أوّل مَن زاره من الناس كما جاء في بعض مصادر الإمامية (المفيد،ط١، ١٤١٣هـ،ص٤٦؛ الطوسي،ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٨م، ص٥٤٨؛ ابن كرامة، ١٣٨٣ش، ص١١٦) وإذا ما أُريدَ تبرير هذا الفعل الجماعي الكبير المتكرّر سنويًا، وإدخاله في دائرة العقيدة الحقّة، فإنه-في الأغلب-يتم اعتماد حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي يقول فيه: "علامات المؤمنين خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختُّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم" (الطوسي ، ص٥٤٨) ، وهنا أورد المشككون شُبهة مفادها: لم يُرِد

الإمام العسكري عليه السلام بزيارة الأربعين زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وإنما زيارة أربعين مؤمنًا، وردًّا على ذلك أقول:

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أربعينه ابتدأت بعد أربعين يومًا من استشهاده، وكان في طليعة مَن زاره في ذلك اليوم مجموعة من خيرة أهل المدينة المنورة وأفقههم، وهم: رأس الصحابة وأجلّهم جابر بن عبد الله الأنصاري، ومجموعة من بني هاشم، ورجال من آل رسول الله صلى الله عليه وآله (ابن طاووس ط١، ١٩٩٣م، ص١١٤)، وليس غريبًا أن يصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى هؤلاء بهذه السرعة ويشدّوا الرحال إلى كربلاء، لأن خبر استشهاده عليه السلام حصل لديهم في الساعة نفسها من يوم عاشوراء، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطى لزوجه أُم سلمة ترابًا مأخوذًا من موضع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأخبرها بأن ذلك التراب إذا تحوّل إلى دم فإنه علامة مقتل ولده، فحفظت أم سلمة ذلك التراب عندها في قارورة، وكانت تنظر إليها بين الفينة والأخرى، حتى إذا ما استشهد الإمام عليه السلام وتحوّل ذلك التراب إلى دم وتحقّق الخبر لدى أم سلمة قامت بإخبار الناس في الحال بمقتل الإمام الحسين (الطوسي، ط١، ١٤١٤هـ، ص٣١٥).

إنَّ أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله ومَن معهم لما رجعوا من الشام مرّوا بكربلاء قاصدين زيارة قبور أحبتهم، فوصلوا إلى مكان المصرع هم وأولئك من أهل المدينة في الوقت نفسه، فأقاموا المأتم أيامًا عدّة يبكون ويلطمون، وانضمّ إليهم من نساء شيعة العراق (ابن طاووس، ص١١٤) وهذا كلّه في حضور إمامين معصومين وتحت رعايتهما، وهما: الإمامان علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر عليهما السلام، مما يؤكّد أن إقامة العزاء والزيارة في يوم الأربعين في أسمى درجات القبول الشرعي.

وقد استمرَّ الشيعة يزورون الإمام الحسين عليه السلام في أربعينه، ولكن لم تكن لها مفردات خاصة كزيارة عاشوراء الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام (ابن قولويه ، ص٣٢٧-٣٢٨؛ الطوسي ، ص٥٣٦-٥٣٧) فجاء الإمام الصادق عليه السلام فوضع مفرداتها قبل النصف الأول من القرن الثاني الهجري، فقد روى صفوان بن مهران (المفيد، ط٢، ١٩٩٣م، ج٢، ص٢١٦؛ النجاشي ط٥، ١٤١٦هـ، ص١٩٨؛ الطوسي ،ج٢، ص٧٤٠) ما نصّه: "قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه: في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على وليِّ الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد..." (الطوسي، ص٥٤٨) ، وأستفيدُ من هذه النصّ أنَّ الشيعة-كما أسلفتُ- كانوا يزورون الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر بعد استشهاد الإمام مباشرة، وكانت تلك الزيارة معروفة لديهم، ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام لصفوان: "في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار..."، فجاءت كلمة (الأربعين) معرّفة بالألف واللام من دون حاجة إلى إضافة ذكر الإمام الحسين عليه السلام لها.

إن هذا القِدَم التأريخي للزيارة، يخدم البحث العلمي في قضيتين مهمتين، الأولى أن الزيارة لها أصل متين فقد كانت تحت رعاية الأئمة عليهم السلام، وهو ما يجعل هذه الممارسة الإيمانية والإمامية بل العالمية في غاية الصحّة من الناحية الشرعية، والأخرى أنها أغنتنا في مجال ردّ الشبهات التي يُثيرها البعض، من أن الإمام العسكري عليه السلام قصد بحديثه أربعين مؤمنًا وليس زيارة الأربعين المعروفة، وهذا خلاف الحقيقة، فالإمام العسكري عليه السلام حين ذكر الأربعين معرَّفةَ باللام والألف، ومجرّدة من ذكر الإمام الحسين عليه السلام فلأن مَن كان بحضرته من الشيعة كانوا يعرفون مُراده، كون زيارة

الأربعين كانت مفهومة للجميع بعد أن مضت عقود كثيرة على تأديتها، فلذلك لم يكن بحاجة إلى إيضاح أكثر، وليس ذلك من باب التقية كما ذكر البعض (HTTPS://WWW.SHIA-DOCUMENTS.COM/9723/) ، لأنه عليه السلام تحدّث بحضرة شيعته وليس عند السلطان أو أتباعه.

إنَّ ما ذكرتُه من القِدَم التأريخي للزيارة والذي يعود إلى الأيام الأربعين الأولى من تاريخ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو ليس إعطاء العُمق التأريخي لقضية أربعين الميت، ففي التراث الإسلامي توجد بعض الروايات تذهب بنا إلى زمن النبي آدم عليه السلام أبي الإنسان، فقد رويَ أنه لما قتل قابيل أخاه هابيل، حزن عليه أبواه عليهما السلام أربعين صباحًا وبكَيَاه (المسعودي، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٩؛ النويري، ط٢٠٠٤،١م، ج١٣، ص٣٤) ، وحين تُوفّي آدم لزمت حواء قبره أربعين صباحًا وبكته، وتضيف الرواية الإسلامية ((صرخت ولطمت وجهها ودقّت صدرها، فأورثت ذلك بناتها إلى يوم القيامة)) (النويري، ج١٣، ص٣٥) .

من هنا أرى أن زيارة الأربعين التي خُصَّ بها الإمام الحسين عليه السلام وهو وارث آدم صفوة الله كما قال الإمام الصادق عليه السلام (الطوسي، ص٧٢٠)يمتد جذرها إلى هذا العمق التأريخي الموغِل في القِدَم، وقد تم إحياؤها من قِبَل سلالة النبوّة وخُزّان علم الله تعالى، والعلماء بمواريث الأنبياء، كونها سُنّة نبوية فعلها أبو الإنسانية، فهي ليست بدعة أو عادة اجتماعية لا أصل شرعي لها، وإنما هي سُنة آتية من ذلك النبي كغيرها من السُّنَن الأخرى التي أتت عنه، كالتشهُّد عند الاحتضار وتغسيل الميّت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، أو كتسمية المولود في اليوم السابع من مولده (المسعودي، ص١٩، ٢١) .

وبذلك لا أرى ما رآه بعضهم من أن زيارة الأربعين عادة اجتماعية تطورت

حتى اتّخذت حُكم العقيدة، وأنها ذات أصل فرعوني (المخزومي، ٢٠١٨م، ص١٥١-١٥٢),لأن فعل النبي آدمعليه السلام متقدّم تاريخيًا، فمنه كانت الفكرة وقد أحياها الأئمةعليهم السلام وشجّع عليها لاحقًا الإمام الحسن العسكريعليه السلام، لتكون من أهم الزيارات التي يُزار بها الإمام الحسينعليه السلام، فالأئمةعليهم السلام لم يكتفوا بأن يوجّهوا شيعتهم نحو استذكار مصائب أهل البيتعليهم السلام في عاشوراء، بل أرادوا أن يستمروا في استذكار ما جرى عليهم بعد القتل من أسْرٍ وما فيه من المأساة العظيمة والأحداث الأليمة.

ويُعضّد ما قدّمتُه، من أن زيارة الأربعين سُنّة نبوية، أو قُل: سُنّة إلهية، هو كثرة الأخبار الواردة في أن السماء والأرض بكتا على الإمام الحسينعليه السلام بعد استشهاده أربعين صباحًا، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادقعليه السلام "إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحًا بالدم، وأن الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحُمرة" (ابن قولويه ، ص١٦٧),ولا شكّ أن الله تعالى هو وحده القادر على التحكّم بهذا الكون، ولن يفعل به تغييرًا من هذا القبيل إلّا لأمر عظيم وحكمة بالغة وحدث يهتزُّ له العرش، فزيارة الأربعين داخلة ضمن هذا المجال ولا يمكن فصلها بأيّ حالٍ من الأحوال عمّا فعله النبي آدم وزوجهعليهما السلام ولا ما حدث للسماء والأرض حيث استُشهد الإمام الحسينعليه السلام.

المبحث الثاني
أثر الزيارة في ترسيخ الفكر العقدي

إنَّ المتأمّل في مفردات زيارات الأئمة الأطهار عليهم السلام يلحظ بوضوح تام الأفكار العقدية الموضوعة في تلك الزيارات، ففضلًا عمّا بيّنه الأئمة من الثواب العظيم والأجر الجزيل واستحصال البركات لزائر الإمام الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام نجد هناك أفكارًا عقدية سعى الإمام واضع مفردات الزيارة إلى بثّها عبر هذه الممارسة الإيمانية التي ندب إليها بكلّ قوّة وإصرار.

وإذا ما أسفنا النظر في زيارة الأربعين، فإننا سنلحظ جملة من الأفكار العقدية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام والذي رأى أن الزيارة أفضل وسيلة لبثّها في وسط المجتمع الشيعي، بل كل مَن يزور الإمام الحسين عليه السلام من مختلف التوجهات الدينية التي كثُرت في العصور المتأخرة لا سيما عصرنا الحاضر.

وحين نقول: إن الإمام الصادق عليه السلام رأى في بث الأفكار العقدية الحقّة بواسطة زيارة الإمام الحسين عليه السلام أفضل وسيلة، ذلك لأننا نعتقد بأنه عليه السلام كان يعيش في وسط رقابة عباسية شديدة، فكثير من الروايات والأخبار تصرّح بأن الإمام كان مراقبًا، وممّا رويَ في هذا أنه لعن مَن سمّاه باسمٍ، وقد كان الرجل من شيعته يراه في الطريق فيبتعد عنه، وأن أحد شيعته ألقى عليه تحيّة السلام وهو في الطريق فما قَبِلَ ما صنعَ وذمّه، لأن ذلك يعرّضه للمكروه، بينما شكرَ آخر من أتباعه وحمدَه، لأنه ترك السلام عليه في الطريق خوفًا عليه من السلطة التي كانت تراقبه (النوبختي، ط١، ٢٠١٢م، ص١٦٩) . ، فلمّا كان الحال هكذا، صار بث الحق والحقيقة بواسطة جملة من المفردات تحت عنوان زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام إحدى وسائل النشر تجنُّبًا للالتقاء

المباشر بالأتباع وهو أمر مرفوض تمامًا من قبل السلطة العباسية يومذاك.

إن إطلاق فكرة زيارة الأربعين من قبل الإمام الصادق﵇جاء في زمن كان المجتمع-غير الشيعي الجعفري-يرى في الزيارة الجماعية لقبر الإمام الحسين﵇سواء في الأربعين أو عاشوراء أو غيرهما من الزيارات، عَيبًا يُعابوا به، وسببًا من أسباب توليد الغيظ لدى أعداء الأئمة﵈وشيعتهم، ومع وجود مثل هذه الأفكار التي تُضلّل هذا الفعل المندوب في الشرع، والمؤكّد عليه بشدّة في أحاديث المعصومين﵈، كان لا بُدَّ من شحذ الهِمَم وتبيان شرعية هذه الزيارات وأهميتها، لذلك انبرى الإمام الصادق﵇بالدعاء لهؤلاء الموالين، وبيّنَ حقيقة أمرهم وأمر عدوّهم، ليميّز بين الفرقتين وأيهما على العقيدة الحقّة.

نستشف هذه المعاني ممّا رواه معاوية بن وهب (النجاشي، ص٤١٢؛ الطوسي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٠٣) . قال: "استأذنتُ على أبي عبد الله﵇فقيل لي: أدخل فدخلتُ فوجدتُه في مُصلّاه في بيته فجلستُ حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول:يا مَن خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين﵇الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا ورجاءً لما عندك في صِلتنا وسرورًا أدخلوه على نبيّك- صلواتك عليه وآله-وإجابة منهم لأمرنا وغيظًا أدخلوه على عدوّنا أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنّا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلفوا بأحسن الخلف وأصحبهم واكفهم شرّ كل جبّار عنيد وكل ضعيف من خلقك أو شديد وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل من أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على

أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافًا منهم على مَن خالفنا فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش".

فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء فلما انصرف قلتُ: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعتُ منك كان لَمن لا يعرف الله لظننتُ أن النار لا تطعم منه شيئًا والله لقد تمنيتُ أن كنتُ زرتُه ولم أحج، فقال لي: "ما أقربك منه فما الذي يمنعك من إتيانه»، ثم قال: «يا معاوية لِمَ تَدَع ذلك"؟ قلت: جعلت فداك لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله. قال: "يا معاوية مَن يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض"(الكليني، ج٤، ص٣٣٦).

فهلّا لحظنا ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في هذه الكلمات؟ إنه عليه السلام يقول: هناك حرب فكرية عقيدية، بين الموالين لنا أهل البيت وبين السلطة وأتباعها وبقية الطوائف ممّن يرون في الزيارة أنّها فعلٌ مُعاب، بينما يرى فيها الإمام المعصوم ممارسة إيمانية تُدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله واستجابة لما أمروا به من التزام زيارة الإمام الحسين عليه السلام وهذه الاستجابة في الحقيقة التي كلّفت الموالين كثيرًا-وليس كثيرًا في حقّ الإمام الحسين عليه السلام من إنفاق الأموال، وإشخاص الأبدان وتعريضها لسياط السلطة، وحرارة الشمس وإرهاق الطريق، وتحمّلهم الغربة حيث الابتعاد عن الأهل والوطن لأيّام كثيرة، جعلت الإمام الصادق عليه السلام يدعو لهم ترسيخًا منه على

ما هم عليه من العقيدة الحقّة التي عابها عليهم الأعداء، ليس من الأعداء الغرباء فحسب بل حتى القُربى كان بعضهم يعيب على الشيعة إتيان القبر الشريف وزيارته، وقد صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام في مناسبة أخرى فقال: "الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهدرونهم ويُقَبّحون ما يصنعون" (ابن قولويه، ، ص٥٣٩) .

ثم إننا إذا ما نظرنا في مفردات زيارة الأربعين التي وضعها الإمام الصادق عليه السلام سنجد أنه بيّن جملة من الحقائق المتعلقة بأمر الإمام الحسين عليه السلام فهو عليه السلام بيّنَ أوّلًا أن الإمام الحسين عليه السلام وليّ الله وحبيبه، وصفي الله وابن صفيّه، وأنه شهيد مظلوم، قد أكرمه الله بالشهادة وحباه بالسعادة، واجتباه بطيب الولادة، وأنه سيد من السادة وقائد من القادة، بذل مهجته في الله تعالى من أجل استنقاذ العباد ممّا كانوا فيه من الجهالة وحَيْرة الضلالة، وليس تنافسًا على سلطان، ولكن جُوبِه بردٍّ جاهلي حتى سُفِكَ دمه واستُبيحَ حريمه، من قِبَل أولئك الذين باعوا حظهم بالأرذل الأدنى وشروا آخرتهم بالثمن الأوكس، فأسخطوا بذلك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

ثم بيّن عليه السلام بأن هذا الإمام الشهيد المظلوم هو ابن رسول الله وابن سيد الأوصياء وأنه أمين الله، قد وفى بعهد الله وجاهد فيه حتى أتاه اليقين.

ثم يتوجّه الإمام الصادق عليه السلام بلعن أولئك الذين قتلوا سيد الشهداء عليه السلام وظلموه، بل حتى أولئك الذين سمعوا بما نزل به وبأهل بيته من القتل والأسر والنهب فرضوا بذلك.

ثم انتقل الإمام عليه السلام لمسألة الموالاة لهذا الإمام المظلوم والمعاداة لأعدائه، هذا الإمام الذي يجب معرفته بأنه نور الله تعالى قد تنقّلَ في الأصلاب الشامخة والأرحام

المطهّرة من غير أن تشوبه شائبة من شوائب الجاهلية، وأنه من دعائم الدين وركن من أركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وهكذا بقية الأئمة التسعة المعصومين عليهم السلام من ولده، الذين هم كلمة التقوى وأعلام الهدى.

بعد ذلك طرح الإمام الصادق عليه السلام قضية السِّلم القلبي لهؤلاء الأطهار واتّباع أمرهم وأن نصرته لهم مُعدَّة، مع تأكيده على مسألة المعيّة معهم لا مع عدوّهم، ثم يختم بالصلاة على أرواحهم وأجسادهم وشاهدهم وغائبهم وظاهرهم وباطنهم (الطوسي، ص٥٤٨-٥٤٩).

في الحقيقة، إن هذه القضايا التي ضمّنها الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام هي قضايا فكرية وعقيدية كان من المهم جدًّا تعليمها للإتباع في ذلك الوقت وترسيخها لديهم، وبما أنه كان مُراقبًا ومحظورًا عليه الاجتماع بأتباعه، لذلك كانت الزيارة حيث التجمُّع الشيعي عند قبر الإمام الحسين عليه السلام (ابن قولويه، ص٥٣٩). هي الوسيلة المُثلى، بالرغم مما فيها من الخطورة على الموالين، ولكن الاستمرار على العقيدة الحقّة كان يستوجب الثبات على المبدأ، لذلك استمر الشيعة على إتيان قبر الإمام الحسين عليه السلام مع استمرار منع السلطة لهم، بل ازدياده لا سيما في حكومة المتوكل العباسي (٢١٨-٢٣٦هـ/) الذي كان يصدّر الأوامر الشديدة القاضية بمنع الزيارة (الطبري، ط١، ١٩٨٧م، مج٥، ص٣١٢؛ ابن الأثير، ط١، ١٩٩٧م، ج٦، ص١٣٠)، وبقاء النظرة الاستهزائية أيضًا من قِبَل بعض الخصوم (الطوسي، ط١،، ١٤١١هـ، ص٢٤٠-٢٤٢) لذلك كان لا بُدَّ من إعطاء دعمٍ عقيدي قوي للأتباع وتمييزهم عن غيرهم بأنهم هم الجماعة المؤمنة حقًّا، فجاء حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام صريحًا في ذلك حين عدَّ زيارة الأربعين من

علامات المؤمن، كون مفرداتها تحمل ما أتينا على بيانه من تلك الأفكار العقدية، وأن مَن قرأها واعتقد بها فإنما صار من أتباع الأئمة الاثني عشر الذين بيّنَ الإمام الصادق﵇ شيئًا من منزلتهم في الزيارة، التي كان أداؤها ليس بالأمر اليسير، فكما أسلفنا هناك إرهابٌ سلطوي، واستهزاءٌ من بعض الجماعات، مع ما فيها من مخاطر الطريق ومتاعبه، وإنفاق للأموال، والابتعاد عن الأهل، فصار لحديثه وما سبقه من جهود الإمام الصادق﵇ واضع مفردات الزيارة، أعظم الأثر في ترسيخ الفكر العقدي الحقّ لدى الموالين على مدى العصور، وجَعْلَهم مستمرّي المسير نحو القبر الشريف للإمام الحسين﵇ لا سيما في المناسبات العظيمة كيوم عاشوراء، ويوم عرفة، والنصف من شعبان، والعشرين من صفر وغيرها، وإلى هذا أشار الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) بقوله: "كربلاء موضعها على غربي الفرات..وبها قبر الحسين بن علي وله مشهد عظيم في أوقات من السّنَة" (الإدريسي٢٠٠٢م، ص٦٦٨)، وذكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) زيارة الأربعين صراحة وأنها كانت معروفة، فكتب: "والإمامية تقول: إنّ الرأس أُعيدَ إلى كربلاء بعد أربعين يومًا من المقتل، وهو يوم معروف عندهم يسمّونه الزيارة، فيه زيارة الأربعين" . (ط١، ١٤٢٥هـ، ص١١٢٢) .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر الخير - ١٤٤٦هـ ,أيلول - ٢٠٢٤م

الخاتمة:

تمخّضت هذه الدراسة التي خصّصتُها للتأسيس التاريخي لزيارة الأربعين وأثرها في ترسيخ الفكر العقدي-عن مجموعة من النتائج وهي:

أوّلًا: إن أصل زيارة الأربعين سُنّة إلهية، وليست تقليدًا أو عادة اجتماعية عديمة الأصل، فحزن النبي آدم وزجهعليهما السلام على ابنهما هابيل القتيل أربعين يومًا، وبكاء السماء والأرض على الإمام الحسينعليه السلام أربعين يومًا أيضًا، هو أساس لهذا الفعل الذي أحياه الأئمةعليهم السلام.

ثانيًا: إن زيارة الإمامين السجاد والباقرعليهما السلام لقبر الإمام الحسينعليه السلام في أربعينه الأولى، ومشاركتهما في البكاء والحزن وإقامة المأتم، جعل تلك الزيارة في أسمى درجات القبول الشرعي.

ثالثًا: إن زيارة الأربعين، حيث التجمُّع الشيعي الكبير ثم العالمي في ما بعد، مثّلت مادة إعلامية فريدة من نوعها لنشر الأفكار العقدية التي لم يكن باستطاعة الأئمةعليهم السلام نشرها-كما يُرام-في المجتمع، بسبب مضايقتهم الشديدة من قبل السلطة العباسية.

رابعًا: عدَّ الإمام الحسن العسكريعليه السلام زيارة الأربعين من علامات المؤمن، كونها تحمل جملةً من الأفكار العقدية الحقّة الخاصة بالإمام الحسينعليه السلام والأئمة من ولدهعليهم السلام، فيصبح القارئ للزيارة والمعتقد بكلماتها مؤمنًا بلا شك ولا ريب، ومميزًا عن غيره من أصحاب التوجهات الدينية الأخرى في ذلك العصر، فضلًا عن ذلك مواجهته الشديدة لجملة من التحديات من قِبَل السلطة وبعض طوائف المجتمع على

حدٍّ سواء، والتي لا يثبت لها إلّا المؤمن بقضيته.

خامسًا: لزيارة الأربعين أثر كبير في ترسيخ العقيدة الحقّة لدى شيعة أهل البيت وتقوية أواصر الارتباط بهم، ويظهر ذلك بوضوح من أنها مختلفة عن الزيارات الأخرى بأن الموالين يأتون-في الأغلب-زائرين مشيًا على أقدامهم طاوين مسافات بعيدة للغاية.

قائمة المصادر والمراجع

- أولًا: المصادر

١. ابن الأثير، علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)

- الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢. -الإدريسي، محمد بن محمد (ت: ٥٦٠هـ)

- ٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣. -الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)

- ٤. تاريخ الأُمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٤. -الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)

- ٥. اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قُم، (د.ت).
- ٦. تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.
- ٧. رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم،

١٤١٥هـ.

- ٨.الغَيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قُم، ١٤١١هـ.

٥.-ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٨هـ)

- ٩.كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٧هـ.

٦.-الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)

- ١٠.الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٧.-ابن كرامة، المحسن بن كرامة (ت: ٤٩٤هـ)

- ١١.تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، طهران، ١٣٨٣ش.

٨.-المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ)

- ١٢.إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (منسوب إليه)، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.

٩.-المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ)

- ١٣.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.

- ١٤.مسار الشيعة في مختصر تاريخ الشيعة، تحقيق: مهدي نجف، ط١، المؤتمر العلمي لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

١٠.-النجاشي، أحمد بن علي (ت: ٤٥٠هـ)

- ١٥.فهرست مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي)، تحقيق: موسى الشبيري، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٦هـ.

١١. -النوبختي، الحسن بن موسى (ت: ٣١٠هـ)

- ١٦. فرق الشيعة، ط١، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٢م.

١٢. -النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)

- ١٧. نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

ثانيًا: المراجع:

١٣. ١٨. المخزومي، صادق

- زيارة الأربعين، دراسة سوسيولوجية ميدانية، مؤسسة أديان للثقافة والحوار، النجف الأشرف، ٢٠١٨م.

ثالثًا: شبكة الإنترنت:

- 19. https://www.shia-documents.com/9723/